مقدمـــــة

حين شرعت فى إعداد كتابى الأول «البترول. . بين النظرية والتطبيق» الذى صدر عن دار المعارف فى صيف عام ١٩٩٦ ، كان فى النية أن يضم فى أحد أبوابه عرضًا لما يتصل وتطور العمل البترولى فى مصر والسياسات بذات الشأن ، ولكن استعراض ما أنا مقبل عليه أوضح ضخامة العمل ، وأن الأمر يستأهل أن يُفسَح له الوقت الكافى فى الدراسة والفحص والتدقيق والتحليل ، وأن هناك أوضاعًا سادت وظروفًا تحكمت مرت بها البلاد عبر حقبة طويلة من الزمن منذ أن كانت مصر تابعة للدولة العثمانية عند اكتشاف البترول بها فى عصر الخديوى إسماعيل عام ١٨٦٨ ، والاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢ ، وقيام الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٤ ، والحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩ ، وقيام الثورة المصرية فى عام ١٩٥٢ ، وإلى العصر الذى نعيشه ونتأهب فيه إلى دخول القرن الحادى والعشرين وأصبحت مصر معه فى وضع مميز كسب ثقة واحترام العالم ، بفضل الحركة الدائبة والحضور على الساحة العالمية لقيادتها السياسية .

وبات واضحًا لى ، أنه لا يمكن أن أتناول مسيرة العمل البترولى فى مصر لحقبة تزيد على ١٣٠ عامًا فى غيبة من تلك الأوضاع التى سادت والظروف التى تحكمت كمرحلة هامة فى تاريخ مصر تأثر بها العمل البترولى وأن يكون مؤلَّفًا فى إصدار منفصل كرؤية نستقرئ معها تجارب الماضى وما تحقق ، لنتبين مقومات حركة الإنماء - قدراتنا وإمكاناتنا - لنستشرف آفاق المستقبل .

ورأيت آنذاك أن أعجل بدفع كتابى الأول «البترول .. بين النظرية والتطبيق» وذلك بإصداره وقصره على موضوعاته الفنية التى جاءت به ، باعتباره يدخل فى إطار ما أنا مؤهل له كفكر يتصل وهندسة العلوم .

ولأعود إلى ما التزمت به مع النفس .. وتمر بضع سنوات ليجىء كتابى هذا **(البترول المصرى .. تجارب الماضى وآفاق المستقبل)** .

ولعل الدافع الحقيقى فى إصداره ، برغم ما فيه من تحمل للجهد والعناء جاء من منطلق المسئولية ووجوب أن تكون هناك بداية لإثراء المكتبة العربية التى تفتقر لهذه

النوعية من المؤلفات . ولعلّى هنا أناشد العلماء والباحثين والمتخصصين وفيما يخص مسألة البترول . بأن هناك فيضًا لا ينتهى من الدراسة والتحليل عبر قرن كامل من الزمان . وفى صراع غيّر .. ولا يزال يحكم الكثير من الأوضاع فى منطقتنا العربية . ويستأهل منهم الجهد والعرق لإثراء مكتبتنا التى تفتقر بشدة استقراء هذا التاريخ .

وعلى الرغم من أن مسيرة البترول فى بلادنا قد امتدت لأكثر من ١٣٠ عامًا حتى الآن . منذ اكتُشفِ البترول بها مصادفة خلال عمل إحدى الشركات الفرنسية فى منجم للكبريت بموقع جمسة عام ١٨٦٨ . إلا أن نجاح العثور على أول بئر تحقق إنتاج البترول منها لم يتم إلا فى عام ١٩١٠ . أى بعد ٤٢ عامًا ضاعت من حساب السنين . وتلا ذلك مرحلة أخرى ولتمر ٤٢ سنة أيضا فى عقود طويلة .. قليلة الثمار وكانت تلك هى البداية حتى قيام الثورة فى يوليو ١٩٥٢ .

وجوهر الأمر الذى كشفته هذه العقود الطويلة من الزمن . أننا كنا لا نملك إرادتنا وأن المتطلب الأساسى .. تحرير الإرادة وهو ما تحقق بقيام الثورة .

وفى البداية وخلال الإعداد لهذا العمل ، كان واضحًا من استقراء النتائج فى مجالات أنشطة البترول المختلفة عبر السنين . أن هناك تطورًا ملحوظًا بل انطلاقة كبرى خلال المرحلة ٨٢ - ١٩٩٨ (١٨ عاما) فاقت الـ ٣٠ عامًا التى سبقتها .

وعلى هذا فرض الأمر نفسه فى أن تكون هناك أربع مراحل متتالية كحقبة تاريخية .

البداية	حتى ١٩٥١
الإعداد	١٩٥٢ - ١٩٧٠
النضوج	١٩٧١ - ١٩٨١
الانطلاق	١٩٨٢ - ١٩٩٨

وقد يظهر للوهلة الأولى ، أن التقسيم قد جاء من جانبنا وفقًا للعهود التى تتزامن وحكم الرؤساء الثلاثة للبلاد . ولكن حقيقة الأمر أن الوضع المؤثر الحقيقى فى كل مرحلة . هو الظروف والأوضاع المؤثرة التى مرت بها البلاد . وحكمتها وأثرت فيها السياسات . كصراع فى المنطقة صاحبته مؤثرات على المستوى الدولى والعالمى أيضا ..

وهذا قدر مصر ، بل ومسئولياتها بحكم موضعها وموقعـها .. أن تظل فى دائرة حركة الصراع .. وفى موقع الريادة منه .

وإن كان يجب على أن أسجل . أنه من نعم اللّه أن القيادة السياسية فى مصر وبالتحديد منذ قيام الثورة فى يوليو ١٩٥٢ ، قد أدركت بوعى كامل أن الأمر حين يتعلق بالمسألة البترولية فهو بالدرجة الأولى انفتاح كامل ودائم على العالم كأمر تفرضه طبيعة ذلك النشاط لا يمكن أن يتم فى غيبة منه ، وأدركت أهمية هذا الانفتاح باعتباره روح النشاط ، فتركته بعيدًا عن التأثيرات السياسية وانعكاساتها الاقتصادية ، ولتجىء منظومة تطور النشاط البترولى فى مجالات عمله المتكاملة فى حضور وحوار دائم مع كبرى الشركات العالمية . وفى سياسة واضحة ومصداقية تتفق وروح مصر فى الحفاظ على تعهداتها الدولية .

> وكان هناك دائما فى تعاقب الرؤساء الثلاثة للبلاد خلال هذه الحقبة سياسة استكمال المسيرة والبناء وفى تنمية متواصلة وكان هذا بحق هو النهج الذى اتبعوه وحافظوا عليه .

ومن هنا جاءت التسمية التى اختيرت للمراحل الأربعة الواردة بهذا الكتاب . .

البداية .. الإعداد .. النضوج .. الانطلاق

وقد جاءت وفق ما تم وتحقق فى مسيرة العمل البترولى ، وهو وضع طبيعى أن تجىء فى مثل هذا التطور ، وإن كانت هناك الظروف المصاحبة التى سادت .

الاحتلال .. الثورة .. الصراع .. العدوان .. الحرب .. النصر .. السلام لبناء مصر المستقبل

إن تاريخ البترول ومسيرته خلال القرن العشرين بكامله ، عالم يفيض بالأحداث ويرتبط ارتباطا وثيقًا بالتاريخ الإنسانى ، بل لا أبالغ إذا قلت إنه صانعه خلال ذلك القرن . وقد شهد حربين عالميتين تعاظمت فيهما أهمية البترول والحصول عليه لزوم النصر ، فأدواتها المدمرة جميعًا كانت تسير بقوة البترول ومستخرجاته ، وقبل أن تهدأ الحرب كان المخطط لدى الدول الاستعمارية الكبرى هو إحكام القبضة على منابع البترول

فى الشرق الأوسط بصفة عامة والمنطقة العربية بصفة خاصة ، واشتد الصراع فيما بين الفرنسيين والإنجليز بتقسيم دول المنطقة العربية بكاملها فيما بينهما على الرغم من حصولهما على تأييد الزعماء العرب ومساندتهم لهما فى الحرب أملاً فى الحصول على الاستقلال ، وكان أول مظاهر الغدر ما كشفت عنه اتفاقية «سايكس بيكو» السرية التى عقدت عام ١٩١٦ ، وكذلك «سان ريمو» فى عام ١٩٢٠ التى حددت بها تقسيم دول المنطقة فيما بينهما .

وبقيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ كانت دول الحلفاء (إنجلترا وفرنسا والاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة) تملك وتسيطر على معظم موارد العالم البترولية وإمداداته ، ولاسيما بمنطقة الشرق الأوسط . وفى مصر لم تجد شركة آبار الزيوت الإنجليزية المصرية أى غضاضة فى الإعلان عن استنفاد البترول المصرى فى العمليات الحربية للجيش البريطانى ، وهو ما جاء على لسان السير «روبرت كوهيه» رئيس مجلس إدارة الشركة فى اجتماع الجمعية العمومية بلندن مشيراً إلى انخفاض أرباح الشركة فى مصر عام ١٩٤٣ قائلاً :

> لقد استنفدت سنوات الحرب المقادير الاحتياطية من البترول الخام فى جوف الأرض ، وكذلك المقادير التى كانت مدخرة لسد النقص فى الآبار الضعيفة ، وإن حقول البترول ومعامل التكرير قد سدت الحاجات الحربية ، إلى أبعد مدى ...)

وفى معركة العلمين التى خسرها «أروين روميل» ، سيد حروب المركبات كما يقولون ، بسبب نقص البترول ، بعد أن اجتاح الساحل الشمالى الأفريقى بكامله بقواته الألمانية ، كان هناك على الجانب الآخر من الصراع العسكرى قائد القوات البريطانية «مونتجمرى» قادمًا من الإسكندرية ومؤمنًا تمامًا فى إمداداته البترولية .

وفى الانسحاب .. كتب «روميل» فى خطاب لزوجته يقول :

« نقص البترول .. إنه سبب كاف يجعل الإنسان يبكى »

ولعله من حظ مصر وقدرها ، أن قدراتها البترولية لم تتفجر ومقدراتها فى أيدى الاستعمار، وكان هناك دائما تقليل من هذه القدرات ، وشاءت عناية الخالق سبحانه وتعالى أن تحتفظ مصر بثروتها البترولية كاملة مستقرة ، ومستقرة إلى حين .

ويهمنى أن أشير ، إلى أنه عند بداية عملى فى إعداد ما أنا بصدده بشأن هذا الكتاب ، كان واضحا أن الأمر يتطلب أولَ تحقيق إصدار وثيقة تحوى تحليلاً دقيقًا لنتائج مسيرة العمل البترولى فى مصر فى مجالات البحث والاستكشاف والإنتاج وتطور الاحتياطى ، منذ تم حفر أول بئر يدوية فى عام ١٨٨٦ حتى يومنا هذا ، وفى موسوعة تفتقدها المكتبة العربية لدينا كمرجع ، وقد تم بعون الله إتمام ذلك وهى فى طريقها الآن للإصدار فى مجلد منفصل ، يصدر بإذن الله عن دار الأهرام وقد استكملَ إعداده فى نوفمبر ١٩٩٨ .

وكمدخل طبيعى قبل تناول الماضى والحاضر فى الأبواب التى أشرت إليها ، جاء الاهتمام بأن يجد القارئ نبذة عن تاريخ اكتشاف البترول قديمًا وفى العصر الحديث فى الباب الأول ، وكذلك ما يخص تطور التشريعات والاتفاقيات البترولية فى مصر فى ظل الأوضاع التى حكمت وأثرت على العمل البترولى وقد شمل هذا الباب الثانى .

وأخيرًا .. وعلى الرغم من أن تأكيد تواجد الزيت الخام أو الغاز الطبيعى لا يتم إلا عن طريق الحفر ، برغم كل هذا التقدم العلمى الذى شهده العالم فى أساليب التقنية والتكنولوجيا ، فإن ذلك الأمر لا يقلص من قدرتنا على التصور .. فلقد أوضحت تجارب الماضى أن هناك **ركائز ومقومات** تحقق منها الانطلاق ، وحينما نطرح التفاؤل لمرحلة قادمة ، يجب أن تكون لدينا قناعة بأن هناك شرعية للرؤية المستقبلية نستشرف معها الآفاق ، وللتفاؤل عناصره ومقوماته .. وللرؤية ركائز أيضا ، ويتناول الباب السابع والأخير ما يخص الآفاق المستقبلية ، وقد ضم الكتاب فى نهايته جزءًا يحوى (ملحقًا للوثائق) لما تم التنويه عنه فى بعض الموضوعات بمواد الكتاب وذلك لسهولة الاستدلال .

والله الموفق وبما فيه كل الخير لبلادنا العزيزة ،

دكتور مهندس حمدى البنبى

القاهرة فى : ٢٦ مارس ١٩٩٩ م .
الموافق : التاسع من ذى الحجة ١٤١٩ هـ .